الإغـــاثة

بأدلة

الاستغاثة

بقلم

حسن بن علي السَّقاف

القرشي الهاشمي الحسيني الشافعي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣هـ

مزيدة ومنقحة

دار الإمام النووي

طبع في بيروت

للتواصل دار الإمام النووي :

هاتف خلوي : ٠٠٩٦٢٧٧٦٥٩٥٢٨٥

E-mail: dar.alnawawi@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة على عباده الذين اصطفى ، وعلى آلهم وصحبهم ومن لهم اقتفى .

وبعد : فقد ضمّني مجلس ببعض الأساتذة الفضلاء ، والإخوان النجباء فوجّه إليّ أحد الأساتذة سؤالاً ، فقال : بلغنا عنك أنّك تجيز الاستغاثة ـ أي بغير الله تعالى ـ فهل هذا صحيح ؟!

فأجبت : نعم أجيزها ومُستندي في ذلك أحاديث صحيحات ، مع أقوال جماعات من العلماء من السلف والخلف وأهل الحديث المرجوع إليهم في المُشْكلات .

فقال ذاك الأُستاذ : وما دليلك في ذلك ؟

فقلت : ما رواه البخاري (١٤٧٥) في صحيحه عن غبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تدنو الشمس يوم القيامة من رؤوس العباد فبينا هم كذلك إذ آستغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشفع لِيُقْضَى بين الخلق » .

فأَحالَ أحد الأساتذة الجواب إلى أحد الأساتذة الحاضرين المُشتغلين بعلم الحديث ليجيبني على ذلك ، فقال ـ ذاك المتخصص ـ ما ملخصه :

إنّه لا يوجد دليل في الكتاب ولا في السنّة يفيد جواز ذلك ، ولا في أقوال من يرجع إليه من السلف بل لم يُنقل ذلك عن أحد من المعتبرين وطلب مني ذاك الأستاذ أن أُعيد نص الحديث ، وأن أُعيد نص حديث

الأعمى ، وأن أتأكد من سند حديث آخر حسنه الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، وأضاع البحث في أساس القضية بالإنشاءيات الفارغة وبتمييع الكلام مُنكراً أن يكون هناك دليل في الاستغاثة والتوسل البتة .

وقد قبل باقي الأساتذة الفضلاء بكلامه باعتباره متخصصاً في علم الحديث ، ولم أقبل ما قاله البته ، وقد تعجّبت منه لأنّي أعرف أنّه مُطّلع تماماً على كثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة في الاستغاثة والتوسّل إلا أنه يخشى أن ينتشر ذلك عنه خوفاً من جهات معينة سيسقط عندها إن صرَّح بذلك ، وخصوصاً أنّه حاول ختم البحث بقوله[1] :

منذ أربعين سنة وأنا أبحث في هذه المسألة وقد تحققت أنّه لا دليل عليها . ثم ذكر أُستاذ آخر : أن نداء الأموات هو دعاء لهم ، وأن الدعاء عبادة ، لقول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء هو العبادة »[2]

---

(١) وهذا الأستاذ المتخصص بنظرهم هو الشيخ شعيب الأرنأووط الذي رافقني لذلك المجلس .

(٢) **حديث ضعيف** . رواه الترمذي (٢٩٦٩و٣٢٤٧و٣٣٧٢) ، وأبو داود (١٤٧٩) ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وأحمد (٤/ ٢٦٧) ، وصححه الترمذي ، لكن النعمان بن بشير لا يثبت سماعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٢٩/ ٤١٢) في ترجمة النعمان بن بشير : « وقال يحيى بن معين : أهل المدينة يقولون : لم يسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل العراق يصححون سماعه منه » . قلت: أهل المدينة التي وُلِد فيها هم أعلم به منهم ، فيثبت بهذا أنه كان من صغار الصحابة وممن له رؤية دون سماع ، ولأنهم اختلفوا في عمره عند وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل كان عمره ست أو

وجاء : « الدعاء مخ العبادة » وكلمة « يا » أداة نداء ودعاء فهي عبادة .

فأجبته : بأنّ الدعاء له عدّة معان منهـا العبـادة ، والحديـث لا يحصـر الدعاء بالعبادة باتفاق العلماء ، وقد ثبت في الصحيحين : أن النبـي صلـى الله عليه وآله وسلم قال لمّا رأى ولده إبراهيم عليه السلام يجود بنفسـه : وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون[٣] . وكـان يـأمر مـن زار المقـابر أن يقول : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسـلمين وإنّـا إن شـاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم »[٤] .

وعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم قـال لأهـل البقيـع : « السـلام عليكـم يـا أهـل المقابر ليهنكم ما أصبحتم فيه ... » الحديـث رواه الإمـام أحمـد (٣/ ٤٨٩) والطبراني قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤) بإسنادين ورجـال أحدهما ثقات .

وفي مصنف الإمام عبدالرزاق (٣/ ٥٧٦/ حديث ٦٧٢٤ بتحقيـق المحدّث الأعظمي) بسند صحيح عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتـى قـبر النبـي

ثماني سنوات . وتجد الكلام عليه في التعليـق علـى النـص (٩٠) فـي كتـاب العلـو بتحقيقنا . وفي إسناد الحديث أيضاً يُسَيع الحضرمي الكندي وهو وإن وثقـه النسـائي إلا أنه لم يرو عنه إلا واحد وهو ذر الهَمْداني . وهذا يحكم على الحديـث أنـه ليـس بذاك . فلا يجوز أن يبنى عليه مثل هذا الأمر العظيم الذي يقوم على تكفير المسلمين الموحدين بدعوى أن لديهم خللاً في توحيد الألوهية المخترع .

(٣) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٣١٢٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٤٩) .

صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه . اهـ .

ولم يكن هذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عبادة للمُنَادى مع أنّه نداء باتفاق العقلاء . وكذلك قول سيدنا أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، لا يجمع الله عليك موتتين[٥] . رواه البخاري وغيره .

فقال الأستاذ : لكنّه لم يَطْلُب منه شيئاً .

فقلت : نحن نريد أن نثبت نقطتين :

الأولى : جواز نداء الأموات وقد فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، كما تقدّم في الأحاديث والآثار مع أقوال العلماء التي قدّمتها وثبت في نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحاب قليب بدر كما هو ثابت في الصحيحين[٦] ، فإذا ثبت أن ذلك جائز انتقلنا إلى النقطة:

الثانية : وهي : هَلْ يجوز طلب شيء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته أو أحد من صالحي أمّته ؟ ونحن نقول بأن مَنْ اعتقد أن المَدْعوُ وهو من استغثنا به سواء كان حياً أو مَيَّتاً في الدنيا أو الآخرة له صفة من صفات الربوبية كفر لا محالة وهذا مُقَرَّر مشهور في علم التوحيد.

---

(٥) رواه البخاري (١٢٤٢) .

(٦) رواه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .

ومن طلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستغفر له بعد مماته لم يعتقد أنّه رب محي مميت خالق رازق حقيقة ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يُعَلِّم أمته ما يؤدّي إلى الكفر والشرك ، وقد علّم الأعمى أن يقول في دعائه : « يا محمد إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي »[(٧)] . والمستغيث يقول كذلك .

وأمّا قول من قال : إنَّ ذلك ذريعة إلى الشرك والأفضل تركه .

فنقول له : ليس كذلك **!!** لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يُعَلِّم الأمّة ما يؤدي للشرك ، وفي لذلك تعطيل العمل بالأحاديث الصحيحة بحجة أنّها ذريعة للشرك وهو كلام خطير جداً . والأئمّة من المحدّثين والفقهاء ما يزالون يذكرون في أبواب صلاة الحاجة حديث الأعمى حاثّين الأمة على القول بذلك الدعاء : « يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي .... » فليس في ذلك ما يتعلّق بالعقيدة ولا بالتوحيد البتة ، إلا عند من يقول بأن هناك توحيدين : توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية ، وأنه من وحّد توحيد ربوبية ولم يوحّد توحيد ألوهية فهو كافر **!!**

---

(٧) حديث صحيح الإسناد رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥) وأحمد في المسند ، والطبراني في الكبير (٩/ ١٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٦-١٦٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٧) وغيرهم . وللسيد المحدث المفيد عبدالله ابن الصديق الغماري رسالة خاصة في هذا الحديث رد فيها على الألباني المتناقض اسمها (إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي) وهي بتحقيقي طبع دار الإمام النووي ، فليراجعها من شاء الاستزادة .

وهذه مسألة اخترعها وابتدعها ابن تيمية ليكفّر بها عباد الله تعالى وتبعه عليها محمّد بن عبد الوهاب ، ونصوص الكتاب والسنّة تنقض ذلك نقضاً مبرماً كما أوضحت ذلك مفصلاً في رسالة « التنديد بمن عدّد التوحيد » وأجبت عن جميع الآيات التي تَوَهَّمَ منها بعض الناس أنّها تدلّ على ذلك كقوله سبحانه : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ لقمان:٢٥ ، والزمر:٣٨ .

وبيّنت معانيها الثابتة بنصوص القرأن من سياقاتها وأقوال الأئمة الفحول في ذلك فتراجع .

فقد وَجَبَ الآن أن نكتب في بيان مشروعية الاستغاثة بسرد أدلّتها الثابتة وأقوال السلف وأهل الحديث فيها ، ليعلم الأساتذة الثلاثة الذين اجتمعت معهم خاصةً وباقي النّاس عامّة أدِلّة جواز الاستغاثة ، وهذا ما أدين الله تعالى به وأراه حقاً وصواباً وتمسكاً بالسنّة ، فإن كان حقاً اسأل الله تعالى أن يثبتني عليه وأن يُلهم من أنكر ذلك أن يرجع إليه ، كما أسأله تعالى إن كان باطلاً أن يجنّبنا إياه ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ يوسف : ١٠٨ .

« اللهم إنّي أعود بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه »[٨] .

<u>(٨)</u> صحيح . رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) .

فصل

في تعريف الاستغاثة وما يتعلّق بذلك

الاستغاثة هي : الطلب من النبي قبل وفاتـه أو بعـد وفاتـه[٩] أن يدعـو الله تعالى في تلبية حاجة لصاحب الحاجة ، فقد طلـب النّـاس منـه صلـى الله عليه وآله وسلم الاستسقاء في حياته وبعد مماته كمــا سـيأتي إن شـاء الله تعالى في أدلّة الاستغاثة ، مع كون المطر بيد الله ليس بيـد النبـي كمـا هو معلوم ومشهور فقد جاء الرجل للنبي صلى الله عليه وآله وسـلّم وهـو يخطب فقال :

« يا رسول الله هَلَكت الأموال وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا »[١٠] ـ أي يمطرنا ـ .. الحديث وكان الرجـل مُسـلماً كمـا فـي « الفتـح » (٥٠٢/٢) والصحابة كانوا يعرفون قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّــي فَـإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ البقرة : ١٨٦ . والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل لذلك الرجل إذا نزل بك قحط أو بـلاء فـلا تـأتيني وتطلـب مني الدعاء بل عليك أن تدعو الله وحده للآية . فـاتضح أنّ هـذه الآيـة لا تنفي الاستغاثة لأنّ ذكر الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرّر في الأصول . ولا بدّ الآن من إثبات حياة الأنبياء في قبورهم فإذا اتضح ذلك تبينّ جـواز خطابهم ومناداتهم لأنهم يسمعون .

---

(٩) لأنّه بعد وفاته حي كما أخبر « الأنبياء أحيـاء فـي قبورهـم يصلـون » ، ويسـمع وتُعْرَض عليه أعمال أمّته ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك بالدليل .

(١٠) رواه البخاري (١٠١٣و١٠١٤) ومسلم (٨٩٧) .

فرع في إثبات حياة الأنبياء في قبورهم :

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« الأنبياء أحياء في قبورهم يُصَلُّون » رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي في حياة الأنبياء وغيرهم . قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢١١) : « رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات » . وفي « فيض القدير » (٣/ ١٨٤) : « رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح » اهـ .

قلت : وصححه المتناقض في صحيحته حديث (٦٢١) ، علماً بأنّي لا أعتد بتصحيحه ولا بتضعيفه وأقول إنه ليس أهلاً لذلك كما سأبين في عدّة مواضع ، وإنّما أذكر كلامه هو وابن تيمية وأمثالهما ليتنبّه بذلك مقلّدوهم وعاشقوهم .

قال المحدّث الكتّاني في « نظم المتناثر » (ص١٣٥ حديث رقم ١١٥) :

« قال السيوطي في مرقاة الصعود : تواترت ـ بحياة الأنبياء في قبورهم ـ الأخبار ، وقال الحافظ السيوطي في « إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » ما نصه : حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قَطْعِياً ، لما قام عندنا من الأدلّة في ذلك ، وتواترت بها الأخبار الدالّة على ذلك ، وقد ألّف الإمام البيهقي رحمه الله تعالى جُزءاً في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قي قُبُورهم .

وقال ابن القَيِّم في كتاب الروح : صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلّم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيْتِ المَقْدِسِ ، وفي السماء خصوصاً بموسى ، وقد أخبر بأنّه : ما من مسلم يسلّم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه حتى يَرُدَّ عليه السلام . إلى غير ذلك مّما يحصل من جملته القطع بأنّ مَوْتَ الأنبياء إنّما هو راجع إلى أنْ غُيّبوا عنّا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة ، فانّهم أحياء موجودون ولا نراهم ... » اهـ انتهى من « نظم المتناثر » للمحدّث الكتاني .

وهذا الكلام لابن القيم موجود في كتاب « الروح » ص (٥٣ ـ ٥٤) طبعة دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦ . وهذا الكلام المتقدّم نصّ عليه الإمام المناوي في « فيض القدير » (٣/ ١٨٤) فراجعه .

٢ ـ وهناك أدلّة عديدة في حياة الأنبياء ستأتي أثناء عَرْضِ أدلّة الاستغاثة فلا نريد التكرار والإطالة .

فرع : في إثبات أن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع بعد موته وكذا سائر الأموات :

اعلم يرحمك الله تعالى أن بعض من توهّم أنَّ الأموات لا يسمعون ظنّوا أن قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ فاطر: ٢٢ دليلاً على ذلك ، وليس كذلك ، بل هذه الآية دليل على أنَّ الكفّار المصرّين على الباطل لن ينتفعوا بالتذكير والموعظة كما أنَّ الأموات الذين صاروا إلى قبورهم لن ينتفعوا بما يَسْمَعُونَه من التذكير والموعظة بعد أن خرجوا

من الدنيا على كُفْرهم ، فشبّه الله تعالى هؤلاء الكُفَّار المصرّين بالأموات من هذا الوجه ، ونصّ على ذلك أهل التفسير فراجعه ، وأنّي أنقل لك قول واحد منهم :

جاء في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٠) في تفسير آية ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ فاطر: ٢٢ . **أن** المعنى :

« أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفّار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذي كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ، ولا تستطيع هدايتهم ﴿ **إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ** ﴾ » فاطر : ٢٢ اهـ .

واعلم أنَّ الله تعالى قال : ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾[11] النمل : ٨٠ ، وأنت تعلم أن الأموات لا يولّون

---

(١١) الضمير في قوله سبحانه: ﴿ **إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾ عائد على الموتى وعلى الصمّ، لأنّ المراد بكُلٍّ منهما الكفار ، وهذا ظاهر بداهة ، فالموتى والصم هم الكفار لا الأجساد ، ونص على ذلك أئمّة محققي المفسرين ، بالإضافة إلى الأدلة التي أوردتها في هذه الرسالة في إثبات سماع الأموات بلاشك ، أمّا قول أئمة التفسير : فقال الطبري في تفسيره (مجلد ١١ جزء ٢٠ صحيفة ١٢) : « وقوله : ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾ يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تفْهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لأنّ الله قد خَتَمَ عليه أن لا يفهمه ﴿ **وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ** ﴾ يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمّ الله عن سماعه سمعه ﴿ **إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾ يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له ، لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبّرون ولا ينصتون لقائله ، ولكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع

مدبرين بعد العظة والتذكير وإنّما المراد بذلك الكفّار ، ولذلك قــال النبـي صلى الله عليه وآله وسلّم كما في الصحيحيـن : « مَثَـلُ الـذي يذكـر اللـه

له » . انتهى من الطَّبري . وهذا يثبت بلا شك أن الضمير في قوله (ولَّـوا) يعـود على الأموات وعلى الصم . وكذا قال الإمام الحافظ أبو حيـان فـي تفسيره « النهـر الماد » (٢/ ٦٣٤) فليراجع . وأمّا حديث : « مَثَلُ الذي يذكر رَبَّه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » فحديث ثابت فـي الصحيحيـن ، انظـر « الفتـح » (١١/ ٢٠٨) وقال الحافظ هناك (٢١٠) : [وقع في مُسْلِم عن أبي كُرَيب بلفظ « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر فيه مثل الحي والميت » ثم قـال : الـذي يوصـف بالحياة والموت حقيقةً هو الساكن لا السكن ، وإن إطلاق الحي والميت في وصـف البيت إنمـا يـراد بـه سـاكن البيـت ، فشـبه الذاكـر بـالحي الـذي ظـاهره تزيـن بنـور الحياة ...] الخ كلامه اهـ . فتبين بهذا التحقيق أن تشدّق المتناقض فيمـا ادّعـى فيـه التحقيق في تعليقه على سنّه ابن أبي عـاصم (٤١٤) المسـمى عنـده بظـلال الجنـة : غلط محض بل باطل . وكذا سيظهر في هذه الرسالة أنّ صـاحب الكُرَّاسـة المتهافتـة التي ردّ بها على « المَيدَاني » ينقل الردّ من كتاب « التوصـل إلـى حقيقـة التوسـل » غَلَط ، لأن الأصل وهو « التوصل » متهافت مليء بالأغلاط وقد دلّس فيه مؤلفه ثُمَّ: ضعّف ما يشا من الحديث برأيـه المسـتهجن الرَّثيـث ، فـلا يعـوّل علـى كلامـه كمـا سيتجلى أثناء هذه الرسـالة ، وخصوصـاً فـي حديـث عائشـة رضـي اللـه عنهـا عنـد الدارمي كما ستراه إن شاء الله تعالى ، فكيف بمن نقل عنه ونسخ من كتابــه وهـو لا يُمَيِّزُ بين الغث والسمين ، فظن نفسه أنه ردَّ الحق بشيء هو في الحقيقـة عَمَـل غُـيره لكنه نَسَبه إلى نفسه، ثم تبجح به ، وقد رددت أيضاً على أحد المتوهبين من خريجـي مانشستر ممن يقول بقريبٍ من ذلك من نفس فصيلة هذه الطائفة وكما قيل :

والقوم إخوان وشتّى في الشيم وقيل في شأنهُمُ اشتدي زِيَم .

تعالى والذي لا يذكره مثل الحي والمَيّت »[١٢] . فتأمل !!

إذا فهمت ذَلِكَ فَتدبَّر الآن في أَدلة سماع الأموات :

١ ـ روى الإمام البخاري (١٣٧٠) ومسلم (٢٨٧٣) في صَحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وغيره قال : « وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلّم على قَلِيبِ بَدْرٍ فقال : « **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ ثمّ قال : إنهم الآن يسمعون ما أقول ...** » وانظر البخاري (٣٩٨١) ومسلم (٩٣٢) .

وفي رواية في الصحيح (البخاري ٣٩٧٦) : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: « يا فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله ؟ فانّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ما تكلّم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

ولا أدري أيصحح المتناقض هذا الحديث أم يضعفه ؟!

ومن ردّ هذا الكلام الصريح بكلام السيدة عائشة قلنا له : ذكر العلاّمة حبيب الله الشنقيطي في كتابه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم » (٤/ ٤-٥) نقلاً عن الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ما نصه : [ومن الغريب أن في المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير

---

(١٢) رواه البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (٧٧٩) .

بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة ـ يعني أنها أثبتت أن الأموات يسمعون ـ وفيه ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فإن كان محفوظاً فكأنّها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة][13] اهـ .

قلت : لا حُجّة بمعارضتها رضي الله عنها ، وقد ثبت أنّها رجعت ، وكلام من شهد القصة مُقَدّم على كلامها بلا ريب وهم رجال عدّة . والحمد لله تعالى .

٢ ـ عن ابن مَسْعُود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلّغوني عن أمّتي السلام » رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرّجاه وأقرّه الحافظ الذهبي ، وفي « فيض القدير » (٢/ ٤٧٩) : « رواه أحمد في المسند والنَّسائي وابن حبان والحاكم ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ العراقي : الحديث متفق عليه دون قوله سَيَّاحين » اهـ .

٣ ـ قال الحافظ السيوطي في « اللُّمعة في أجوبة الأسئلة السبعة » (الحاوي ٢/ ١٧٠) : [روى الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم :

« **ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام** » صححه الحافظ أبو محمد بن عبد الحَقِّ] .

---

(١٣) فتح الباري (٧/ ٣٠٤) .

قلت : والحافظ ابن عبد الحق إمام في العلل ومعرفة الحديث كما في تذكرة الحفّاظ للذهبي ، وكذا أشار إلى صحة الحديث صاحب « عون المعبود » (٣/٣٧٠) . وسيأتي الكلام على هذا الحديث إن شاء في تَنْبيهٍ في آخر هذه الرسالة وبيان كيف ضعّفه الألباني بلا حجة والرد عليه .

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : « **ما من أحد يسلّم عليّ إلاّ ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام** » رواه أبو داود (٢٠٤١) وغيره ، وصحّحه النووي في « رياض الصالحين » وفي « الأذكار » ، وقال الحافظ ابن حجر: [رجاله وثقات] ، كما في « فيض القدير » .

قال الإمام الحافظ السيوطي في رسالته : « إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » المطبوعة ضمن الحاوي (٢/١٤٧) :

[قوله : « ردّ الله » جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدّرت « قد » ، كقوله تعالى: ﴿ **أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ** ﴾ النساء :٩٠ أي : قد حصرت ، وكذا تقدّر هنا ، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد ، و (حتى) ليست للتعليل بل مجرّد حرف عطف بمعنى الواو ، فصار تقدير الحديث : (ما من أحد يسلّم عليَّ إلا) قد (ردَّ الله عليّ روحي) قبل ذلك (فأردّ عليه) .

وإنّما جاء الإشكال على من ظن أن جملة « ردّ الله عليّ » بمعنى الحال ، أو الاستقبال ، وظنّ أنّ (حتى) تعليلية ، وليس كذلك ، وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله ، وأَيّده من حيث المعنى : أنّ الرد

لو أُخِذَ بمعنى الحال والاستقبال لزم تكرّره عند تكـرّر سـلام المُسَـلِّمِين ، وتكرّر الردّ يستلزم تكرار المفارقة ، وتكرّر المفارقة يلزم عليه محذوران :

أحدهما : تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه ، أو نـوع مـا من مخالفة التكريم إن لم يكن تأليم .

والآخر : مخالفة سائر الشهداء وغيرهم ، فإنّه لم يثبت لأحد منهـم أن يتكرّر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ ، والنبي صلـى اللـه عليـه وآلـه وسلّم أولـى بالاستمرار الـذي هـو أعلـى رتبـة] . انتهـى كـلام الحـافظ السيوطي .

٥ ـ وعن أبي هريرة قال رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلّم : « والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنّ عيسى ابن مريم إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً ، فليكسرنّ الصليب ويقتلنّ الخنزير وليصلحـنّ ذات البيـن وليذهبـنّ الشحناء وليعرضنّ المال فلا يقبله أحد، ثمّ لئن قـام علـى قـبري فقـال يـا محمد لأجبته » . قال الحـافظ الهيثمـي فـي « مجمـع الزوائـد » (٨/ ٢١١) : **قلت** : « هو في الصحيـح[١٤] باختصـار رواه أبـو يعلـى ورجالـه رجـال الصحيح » . اهـ

قلت : وفي قوله « لأجبته » دلالة ظاهرة في سماعه إياه .

٦ ـ وجاء في البخاري (الفتح ٣/ ٢٠٥برقم ١٣٣٨) ومسـلم (٢٨٧٠) وكـذا عنـد

<u>**(١٤)**</u> في صحيح مسلم (١٥٥) . وهكذا إن كنا لا نقول بما فيه من نزوله آخر الزمان لكن مخالفنا يقول به ، فهو ملزم له .

أحمد والسُدي والبَزَّار وابن حبّان مرفوعاً :

« إنَّ المَيَّتَ إذّا وضع في قبره إنّه **ليسمع خفق** نعالهم » .

٧ ـ جاء في حديث أبي هريرة والسيدة عائشة وبريدة واللفظ له عند مسلم (٩٧٥) وغيره كما في « تلْخِيص الحَبِير » (١٣٧/٢) : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كان يَقُول إذا ذهب إلى المقابر : « السلام عَلَيكُم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » .

قلت : وهَذَا نداء ودعاء للأموات صرّيح من النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، وتعليم للأمّة فليس ذلك عبادة لهم ، وليس لأحد أن يقول هنا « الدعاء هو العبادة » كما أنّه ليس لأحد أن يقول : وجب تغيير نداء النبي في الصلاة بعد وفاته فنقول بدل « السلام عليك أيها النبي » : « السلام على النبي » ، فتنبّه **!!**(١٥)

وهذه الأدلّة يعضد بعضها بعضاً وهي كافية في إثبات السمع للأموات ، وإنّما أوردتها وأوردت قبلها الدليل على حياة النبي صلى الله

<u>**(١٥)**</u> زعم الألباني أنه ينبغي أن نقول في الصلاة بدل (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) : (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته) **!!** وهذا تخطيط منهم لهدم نصوص السُّنَّة المعارضة لمذهبهم وتقوية النصوص المؤيدة لهم لإثبات ما يريدون ويعتقدون **!!** وقد تكفَّل بالرد على الألباني في هذه النقطة سيدي الإمام المحدث عبدالله بن الصديق الغماري أعلى الله تعالى درجته في رسالته القيمة « القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع » والله الموفق .

عليه وآله وسلم في قبره ، وأَثْبَتُّ أثناء ذلك أن النَّداء ليس عبادة إلا إن كان دعاء لمن أعتقدنا فيه صفات الربوبية[١٦] ليكون ذلك تمهيداً وتقعيداً لموضوع الاستغاثة ، لأنه لا يسهل فهم هذه المسألة وخاصة في التفكير الوهابي إلا بعد تقرير ما قدمناه .

وقد أوردت كل ما تقدم ليكون مقدّمة لأدلّة الاستغاثة بالأنبياء الموصوفين بأنّهم أحياء في قبورهم يسمعون وتعرض عليهم أعمال أُمَمهم ، ومن أَثْبَتَ التوسّل والاستغاثة بذات الأنبياء والصالحين حال حياتهم فقط أثبت لهم تَأَثِيراً ، كما أنّه جرّدهم من منزلتهم بعد موتهم وهنا يكمن الخطر الجسيم .

وإنّي أذكر حديث عرض الأعمال فيما يلي بين أدلّة الأستغاثة فأقول :

---

(١٦) وهذا هو الصواب الذي تثبته أدلّة النقل الشرعية ، والعقل المنطقية ، وقد فصلته في رسالة « التنديد بمن عدّد التوحيد » .

فصل

في تحقيق حديث (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم ...) الحديث

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال : « حياتي خير لكم يُحَدِّثُون ويُحْدَثُ لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شرّ استغفرت الله لكم » . رواه البزار (كشف الأستار ١/ ٣٩٧) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٤) : « رجاله رجال الصحيح » اهـ

وسأفصّل ذلك إن شاء الله تعالى بعد قليل أعني صحة إسناده والردّ على من يحاول أن يوهم أنّ الحديث ضعيف فأقول :

ضَعَّفَ هذا الحديث بعض مَنْ لم يوافق الحديث مشربه بلا حجة[١٧] ، فَلَبَّسَ بذلك على بعض الطلبة البسطاء ، وذهب هذا المُضَعِّف يحتجّ بأنّ هذا الحديث يعارض حديثاً ثابتاً في الصحيح وهو : « حديث الحوض » وفيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يقول يوم القيامة داعياً أمّته إلى الحوض : هلمّوا ، فتضرب الملائكة بعض من أراد الورود على الحوض ، فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلّم : لماذا تذودوهم ؟! فتقول الملائكة : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : سحقاً ، سحقاً . انتهى الحديث بمعناه .

---

(١٧) ومنهم الألباني المتناقض !! في سلسلته الضعيفة (٢/ ٤٠٤برقم٩٧٥) !!

قال مُضَعِّف حديث عرض الأعمال : فكيف تقول الملائكة في الحديث الصحيح إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك يا رسول الله ؟! فلو كانت الأعمال تعرض عليه لعرف ما صنعوا بعده . فالجواب على هذا الاشكال هو ما أجاب به الحافظ في « فتح الباري » (١١/ ٣٨٥) جامعاً بين الحديثين ناقلاً ذلك عن أربع من أكابر حفّاظ الأمة وهم : النووي وابن التين والقرطبي والقاضي عياض وهو خامسهم حيث قال ما معناه ملخصاً :

هؤلاء الذين يذادون عن الحوض هم المنافقون والذين ارتدّوا عن الإسلام ، فهؤلاء لا تعرض أعمالهم عليه في الدنيا لخروجهم من أمّته حقيقة ، وإن كانوا في الصورة يصلّون ويتوضّأون فيحشرون بالغُرَّة والتحجيل ، فإذا أبعدتهم الملائكة وقال لهم سحقاً سحقاً أطفأ الله تعالى غرّتهم وتحجيلهم وأذهبه ساعتئذ . اهـ من الفتح .

وحديث « حياتي خير لكم ... » رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زَوَائِدِ البزار (١/ ٣٩٧) بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال الحافظ نُورالدين الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤) ، وقال الحافظ السيوطي في الخصائص الكُبرى (٢/ ٢٨١) سنده صحيح ، وقال الحافظان العراقيان ـ الزين وابنه وَلي الدين ـ في طرح التثريب (٣/ ٢٩٧) : « إسناده جَيِّد » ، وطرح التثريب من آخر مؤلَّفات الحافظ الزين العراقي .

وروى الحديث ابن سعد في « الطبقات » (٢/ ١٩٤) بإسناد حسن مرسل كما في « فيض القدير » (٣/ ٤٠١) وصنّف في هذا الحديث مولانا محدّث

العصر سيدي عبدالله بن الصدّيق الغماري أعلى الله تعالى درجته جزءاً حديثياً خاصاً سمّاه « نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال » قرّظه له شقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصدّيق الغُماري الحَسَني .

فممّا قدّمناه تبين أنّ الذين صحّحوا الحديث من أهل الحديث :

١) الحافظ النووي .

٢) والحافظ ابن التين .

٣) والحافظ القرطبي .

٤) والقاضي عياض .

٥) والحافظ ابن حجر العسقلاني كما نقل ذلك عمّن تقدّم ذكرهم في الجمع بينه وبين حديث الشفاعة كما في « الفتح » (١١/٣٨٥) .

٦) والحافظ زين الدين العراقي إمام زمانه .

٧) وولده الحافظ ولي الدين العراقي أبو زُرْعَة .

٨) والإمام الحافظ السيوطي .

٩) والحافظ الهيثمي كما في « مَجْمَع الزوائد » .

١٠) وكذا المناوي في « فيض القدير » .

١١) وكذا الحافظ المحدّث السيد أحمد الغماري .

١٢) وكذا مولانا مُحدّث العصر المحقّق سيدي عبدالله بن الصديق

أعلى الله تعالى درجته .

وهؤلاء الأئمّة النقاد بلا شك ولا ريب مقدّم تصحيحهم عند كل عاقل على تضعيف الألباني له في « سلسلته الضعيفة » (٢/٤٠٤) . ولا أشكّ أن الألباني ضعّف الحديث لا لضعف سنده وإنّما لمُخَالفَته لمشربه فقط . وأعجب منه كيف أنّه يصحّح أحاديث ضعيفه بشواهدَ شبه موضوعة كما فعل مثلاً بحديث « لُحُوم البقر » الذي ذكرته في رسالة ردّ التصحيح الواهن لحديث العاجن ، ثم يضعف هذا الحديث برجل من رجال مسلم والأربعة وهو عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد وقد وثّقه الإمام أحمد وابن مَعِين والنسائي وروى عنه أئمة من كبار المصنّفين كالشافعي والحميدي وأمثالهم .

والطعن في هذا الرجل « ابن أبي رواد » لم يعبأ به الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٩/٤٣٤) فلينظر . ومن كان مؤهَلاً للمناقشة في علم الرجال واعترض على ما قرّرناه مما تبعنا فيه أهل الشأن فليناظرنا وليباحثنا في ذلك ، مع أنّي لم أر إلى الآن أحداً من أهل العلم المعتبرين ضعّف حديث « عرض الأعمال » . والله الموفق للصواب .

ومن المؤسف جداً أنَّ صاحبَي كُتّيب « أوهابية أم كتاب وسنّة » الذي كان مطبوعاً قبلاً باسم « الإسلام والغلو في الدين » ــ وهما الوهابيان البرقاوي والعبوشي المتوفيان في مدينة الزرقاء الأردنية ــ ص (٢٣) من أوهابية و ص (١٥) من الغلو **يقولان** عن حديث عرض الأعمال ما نصه : قال في الصارم المنكي : « هذا حديث مرسل ضعيف لا يحتج به » اهـ .

والصحيح : أنَّ صاحب الصارم المنكــي لـم يقـل ذلـك وإنمـا قـال : « حديث مرسل صحيح الإسناد » فقد حرَّف صاحبا كتاب « أوهابية... » في النقل على عادة هذه الطائفة ، وهما ممن لا يعرف فــي علـم الحديـث قليلاً ولا كثيراً .

ولم يطّلع ابن عبد الهادي الحافظ صاحب الصارم المنكي على إســناد البَزَّار ، ولو اطّلع لقـال حديـث متصـل صحيـح الإسـناد ، مـع أنـه تيمـي متعصِّب .

ولنتناقش في شأن ابن عبدالهادي صاحب « الصارم المُنْكي » مناقشــة موضوعية هادئة بعيدة عن التعصّب بتروّي وتدبّر وذلك على ضوء الكتاب والسنّة فنقول :

قال الإمام المحدّث الكتاني في « فهرس الفهارس والأثبات » (٢٧٧/١) كاشفاً حال ابن عبدالهادي وكتابه « الصارم المنكي » ما نصه :

[وتصدّى للردّ على ابن السبكي : ابــن عبدالهـادي الحنبلـي ، ولكنـه ينقل الجَرْحَ ويغفل عن التَّعدْيِل[١٨] ، وسلك سبيل العنف والتشديد ، وقـد ردّ عليه وانتصر للسبكي جماعة[١٩] منهم الإمام عـالم الحجـاز فـي القـرن

---

(١٨) أي ابن عبد الهادي في « الصارم المنكــي » حينمـا يـرد علـى كتـاب الإمـام السبكي « شفاء السقام فــي زيـارة خـير الأنـام » وهمـا كتابـان مطبوعـان مشـهوران متداولان .

(١٩) ونحن الآن إن شاء الله تعالى على أتم الاستعداد للانتصـار للسـبكي فـي هـذا الزمان ، وكذا في كل مسألة يثيرها المغرضون مما نرى الحـق علـى خلافهـا ، واللـه

الحادي عشر الشمس محمد علي بن علاّن الصدّيقي المكي له ـ كتاب ـ « المبرد المبكي في ردّ الصارم المنكي » ومن أهل عصرنا البرهان إبراهيم بن عثمان السَّمنودي المِصْري سمّاه « نصرة الإمام السبكي بردّ الصارم المنكي » وكذا الحافظ ابن حجر له « الإنارة بطرق حديث الزِّيارة » وانظر مَبحْثاً من فتح الباري والمواهب اللّدنيّة وشُروحها] اهـ .

قلت : وابن عبدالهادي من شدَّة تعصّبه لابن تيمية وملازمته له اغتر بكثير من أخطائه المشهورة ، لا سيما أنَّ ابن تيمية كان يحثّه على قراءة مصنّفات المجسّمة والمشبّهة وخصوصاً أنّ ابن تيمية يرى أنّ التشبيه والتجسيم لم يأت لهما ذم في كتاب أو في سنّة أو في قَوْل أحَدٍ من السَّلَف ، فهو يقول في كتابه « التأسيس في نقد أساس التقديس» (١/ ١٠٠):

« ولم يذمّ أحد من السلف أحداً بأنّه مجسّم ولا ذم للمجسمة » اهـ .

وقال في التأسيس أيضاً (١/ ١٠٩): «وإذا كان كذلك فاسم المشبّهة ليس له ذكر بذمّ في الكتاب والسنّة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين».

وكأنّ ابن تيمية ـ شيخ ابن عبدالهادي ـ هنا يتناسى أنّ الإسلام جاء لهدم الوثنية المبنيّة على تجسيم الإله وتشبيهه بخلقه ... إلى غير ذلك ممّا لا يحتاج لدليل ولا برهان كما قيل :

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النّهار إلى دليل

تعالى يهيىء في كل مكان وأوان من يزهق الباطل ويدافع عن الحق كما قال الإمام الكوثري عليه الرحمة والرضوان .

كما يظهر أنّه نسي ما يقوله هو وأصحابه : (المشبّه يعبد صنماً) ، وإثبات ابن تيمية في « التأسيس » (٥٦٨/١) عقيدة تجويز جلوس معبوده على ظهر بعوضه فضلاً عن العرش مما تشمئز منه نفوس أهل الإيمان حيث يقول ما نصه هناك ناقلاً له عن الدارمي المجسم مقراً ومروِّجاً ومباركاً :

« ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقرّ على ظهر بعوضة فاستقلّت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عَرْش عظيم » .

ويشير في « منهاج السنّة » (٢٦٠/١) إلى تقوية حديث : جلوس الله على العرش وبقاء فراغ بمقدار أربع أصابع إلى غير ذلك من طَامَّات ورثها عنه الإمام الحافظ ابن عبدالهادي الحنبلي الذي كان يُسمِع أهلَه وخاصّته جزء « إثبات الحد لله عزّ وجلّ وأنّه قاعد وجالس على عرشه » !!!!! للمجسّم المحترف ابن سفنديار الدشتي الحنبلي !!!! كما تجد ذلك بخط ابن عبدالهادي على جزء الدشتي المذكور ، مع أنّ المعروف عند كل مؤمن عاقل أن الأهل من زوجة وأولاد وكذا خاصّة الرجل ممّن ينبغي صونهم من الكفر البواح ، وتسميعهم ما فيه تنزيهٌ للباري تبارك وتعالى ، وعناوين هذه الكتب تنبىء العاقل المتبصر بحال مصنّفيها والمشتغلين بتسميعها لأهلهم وخاصتهم .

أفاد هذا العلامة الإمام الكوثري في تعليقه على ذيول الحفاظ .

ولأجل تعصّب ابن عبدالهادي لابن تيمية وتصنيفه للانتصار له عاب عليه كبار العلماء كالإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره من الأكابر ،

ففي « الفتح » (٣/٦٦) مثلاً ما نصه :

« قال الكَرْماني : وقع في هذه المسألة ـ مسألة الزيارة ــ في عصرنا في البلاد الشاميّة مناظرات كثيرة وصنّف فيها رسائل من الطرفين ، **قلت** : يشير إلى ما ردّ به الشيخ تقي الدين السبكي وغيره على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وما انتصر به الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي وغيره لابن تيمية وهي مشهورة في بلادنا ، والحاصل أنّهم الزموا ابن تيمية بتحريم شدّ الرحل الى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وأنكرنا** صورة ذلك[٢٠] ... وهي من أبشع المسائل المنقولة عن

---

(٢٠) (تنبيه) : لمسألةٍ تتعلق باستحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي : أنّه قد تلاعب أحد أتباع ابن تيمية المعاصرين وهو الشيخ (!!) عبد القادر الأرنأووط بكلام الإمام النووي في كتاب « الأذكار » فحرّفه اقتداء بمن قال الله فيهم : ﴿ **يحرّفون الكلم عن مواضعه** ﴾ وإني أسوق كلام الإمام النووي الأصلي الآن إن شاء الله تعالى ثم أُردفه بالكلام المبدّل لنتبيّن حقيقة الأمر ، وليعشق مَنْ يعشق سلفية العصر على بيّنة !! **فأقول** : كلام الإمام النووي الأصلي غير المحرّف : في كتاب الحج من الأذكار (ص ٣٠٦ طبع دار الفكر دمشق) وكذا في المخطوط وباقي الطبعات وفي شرح الأذكار لابن علاّن ما نصه :

[**(فصل في زيارة قبر رسول الله وأذكارها)** : اعلم أنّه ينبغي لكل من حجَّ أنْ يتوجّه إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فان زيارته صلى الله عليه وآله وسلم من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات ، فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه . فاذا وقع بصره على أشجار المدينة ...] اهـ كلام الإمام النووي الأصلي غير المحرَّف .

كلام الإمام النووي المحرّف الذي حرّفه (عبد القادر الأرناؤوط) المتمسلف بأمر من سادته طمعاً في المال العائد من طبع الكتاب بتحقيقه : في كتاب الأذكار للإمام النووي (طبع دار الهدى الرياض ١٤٠٩هـ باشراف وموافقة مراقبة المطبوعات برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ص ٢٩٥) ما نصه :

[**فصل في زيارة مسجد رسول الله** : اعلم أنّه يستحب من أراد زيارة مسجد رسول صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه فإذا وقع بصره على أشجار المدينة ...] اهـ . فتأمْل هذا التحريف ولا أدري كيف حصل هذا تحت أنظار رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة (!) علماً بأنّ الكتاب إذا كان فيه كلمة توسّل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بيت من الشعر فيه مدح له صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ عين رئاسة البحوث تضبطه وتصادر الكتاب وتمنع دخوله . فهل أصاب عين رئاسة البحوث العمى فلَم ترَ هذا التحريف لأنه يوافق مشربها ؟!! ثم تمادى المحقق المتمسلف المذكور فاسقط بعد صحيفة من كتاب « الأذكار » قصة العُتْبي التي ذكرها الإمام النووي لأنها تخالف ذاك المشرب العكر ، فهل هذه هي الأمانة العلمية ؟! وكان بإمكانه أنْ يُعَلِّق عليها بالإنكار كما فعل بعض إخوانه في طبعات أخرى دون أن يقترف هذا التحريف والتلاعب المشين الذي يؤدي إلى تشكيك المسلمين بما يطبع ويطرح بين أيدي عامة الناس من أمهات المراجع وكتب التراث .

سبب هذا التحريف فيما نرى : أقول : والذي دعى المحقق والمشرف إلى أن يحرّف عبارة الإمام النووي ويحذف منها : هو التعصب لرأي ابن تيمية الحرّاني الذي أنكره عليه فحول علماء أهل السنّة ، وإليك بيان ذلك : قال الحافظ ابن حجر في « الفتح» (٣/٦٦) : « والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شدّ الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وأنكرنا صورة ذلك ... وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية** » . اهـ

ابن تيمية » اهـ .

قلت : فهذا الإنكار لا شك يشمل كتاب « الصارم المنكي »[٢١] ، الذي كان مؤلّفه يحيد عن الصواب بتضعيف الأحاديث بعرض رجالها وذكر الجرح فيهم دون التعديل كما قال ذلك الأئمّة المتخصّصون في هذا الفنّ ورأيناه أيضاً بأعيننا ، وسلك أيضاً مثل هذه الطريق الشاذة البعيدة عن التمحيص العلمي «السهسواني الهندي» وأمثاله ممّن لا يُعْبَأ بقولهم البتة .

قلت : وهذا التحريف اعتاد عليه الحشوية المجسمة في كل عصر كما أثبتت ذلك وقائع التاريخ وعندي على ذلك أمثلة تزيد على الثلاثمائة سأصدرها قريباً في رسالة أسردها فيها سرداً ، وانظر إلى ما يقوله الإمام الحافظ التاج السبكي في كتابه (قاعدة في الجرح والتعديل ص (٤٨) من الطبعة الخامسة) : [وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أنْ كتب شرح « صحيح مسلم » للشيخ محي الدين النووي ، وحذف من كلام النووي ما تكلّم به على أحاديث الصفات ، فإنّ النووي أشعري العقيدة فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنّفه مصنّفه . وهذا عندي من كبائر الذنوب ، فإنّه تحريف للشريعة وفتح باب لا يؤمّنُ معه بكُتُب الناس وما في أيديهم من المصنّفات فقبّح الله فاعله وأخزاه ...] الخ انتهى كلام الإمام الحافظ السبكي .

(٢١) قال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » ص (٢٨٧) : [الصارم المنكي غير صحيح !! لأنَّ أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة فلا يقال أنكأه وأنكاه حتى يصبح منكي كما في اللسان والقاموس والمصباح !! والظاهر أنَّ الله طمس على بصيرته ــ أي ابن عبد الهادي ـ في تسمية الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه ليحصل الخطأ في الاسم والمسمى جميعاً !!] انتهى .

هذا مع ملاحظة أن ابن عبد الهادي قال عن حديث « حياتي خير لكم ... الحديث » : (مرسل صحيح) ، فحرّف ذلك صاحبا « أوهابية أم كتاب سنّة » فقالا :

(قال ابن عبد الهادي : مرسل ضعيف لا يحتج به) . اهـ لأنّه يخالف مشربهما ، ولا شك أنّ هذا من الغلو في الدين !! فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فصل

في أدلّة الاستغاثة الصحيحة وآثار السلف أيضاً

١ ـ **الدليل الأول :** ثبت في صحيح البخاري (١٤٧٥) في كتاب الزكاة باب رقم (٥٢) انظر فتح الباري (٣/٣٣٨) الطبعة السلفية ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأُذن ، فبينا هم كذلك **استغاثوا بآدم** ، **ثمّ بموسى** ، **ثمّ بمحمد** فيشفع ليقضى بين الخلق ... » .

أقول : وهذا تصريح بالاستغاثة بغير الله تعالى في أمر لا يملك تفريجه يومئذ إلا الله تعالى وحده ، وكلّنا يعتقد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد من عبيد الله ليس له المُلك يومئذ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ غافر : ١٦ ، واستغاثة الناس بعد اتضاح الشرك من الإيمان يومئذ وخصوصاً بسيدنا آدم الذي يعترف بأنه لا يستطيع ذلك ثمّ بمن بَعده من أكبر الأدلّة وأنصعها وأصحّها على أن الاستغاثة بغير الله تعالى ولو لم يَكُن المستغيث يملك النّفع ليس شركاً ولا كُفْراً كما يظنّ البعض بل هو حق في موقف يشهده الخلق جميعاً بين يدي ربّ العالمين النافع الضار سبحانه ، وذِكْرُ لفظة الاستغاثة في هذا الحديث نصّ صريح على حقّية ذلك ، فليس لأيّ إنسان أن يقول : هذا حديث الشفاعة ونحن نعرفه ، لأن قوله هذا لا ينفي الاستغاثة ، بل يُثْبت هذا عليه أن التوسل والاستغاثة والاستعانة والشفاعة كلّها بمعنى واحد وهو توسيط النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو غيره بين صاحب الحاجة

وبين الله تعالى وهو يعتقد أن الأمر بيد الله تعالى .

ولذلك قال الحافظ ابن حَجَر مُعَلّقاً على نحو هذا الحديث في الفتح (١١/٤٤١) : [وفيه أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسّل إلى الله في حوائجهم بأنبيائهم] اهـ .

قلت : وهؤلاء الناس منهم من أدرك الأنبياء في حياتهم الدنيوية قبل وفاتهم ومنهم من أدركهم بعد الوفاة ، والجميع مستغيثون بالأنبياء .

٢ ـ الدليل الثاني : وروى البخاري في صحيحه (١٠١٣) في كتاب الاستسقاء باب (٦) الفتح (٢/٥٠١) : عن أنس ابن مالك : « أنّ رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وِجَاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السُبُل ، فادع الله يغيثنا ـ أي يمطرنا ـ قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقال : اللهم اسقنا، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا. قال أنس :ولا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَةٍ ولا شَيئاً ، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيت ولا دَار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ثمّ انتشرت ، ثمّ أمطرت .... » .

قلت : هذا الرجل أصيب ماله بالهلاك وجاء مستغيثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أن يدعو الله في أن يمطرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فلم يقل له صلى الله عليه وآله وسلم : عليك أن تدعو الله أنت لأنّ الله يقول : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ البقرة : ١٨٦ وكذا لم يَقُل له : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ**

لَكُمْ ﴾ غافر : ٦٠ لأنّ هاتين الآيتين لا تنفيان سؤال الغير والاستغاثة بالأنبياء ، وذكر الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرّر في الأصول ، ومن هـذا البـاب جاء في الحديث الصحيح : أن الأعمى استغاث برسـول اللـه صلـى اللـه عليه وآله وسلّم ليدعو الله لـه فـي ردّ بصـره ، فلـم يـدع لـه وإنّمـا علّمـه التوسّل والاستغاثة بجاهه صلى الله عليه وآله وسلم في الدعـاء المسـنون المشهور الذي فيه :

« اللهم إنّي أتوجه إليك بنبيّك محمد نبي الرحمة » ـــ وهـذا توسّـل ـــ « يا محمد إنّي أتوجّه بك إلى الله في حاجتي لتقضى »[٢٢] وهذه استغاثة صريحة !! وخصوصاً أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم لـم يخـصّ هـذا الدعاء بحياته فَقَط مع أنّه حيّ في قبره كما تقدَّم ، وكما جاء فـي الحديـث الصحيح ، وقد ذكر علماء الأمّة هذا الحديث في أبواب صلاة الحاجة من مصنفاتهم ولم يقل أحد منهم إياكم أن تدعو به فإنه شرك ، بل حثّوا الأُمّـة على الدعاء به تطبيقاً لسنّة النبي صلى الله عليه وآله وسـلّم ، والمسـتغيث منّا الآن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف أنّ النبي صلـى اللـه عليه وآله وسلم حيّ في قبره يسـمع سـلام المُسّـلِّمين عليـه ويـردّ عليهـم

---

(٢٢) حديث صحيح الإسناد رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥) وأحمد في المسند ، والطبراني في الكبير (٩/ ١٧) والبيهقي في دلائـل النبـوة (٦/ ١٦٦-١٦٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٧) وغيرهم . وللسيد المحـدث المفيـد عبدالله ابـن الصديق الغماري رسالة خاصة في هـذا الحديـث رد فيهـا علـى الألبـاني المتنـاقض اسمها (إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي) وهي بتحقيقـي طبـع دار الإمـام النووي ، فليراجعها من شاء الاستزادة .

وتعرض عليه أعمال أمّته ، فإذا وقف الإنسان منّا على قبره صلى الله عليه وآله وسلّم فقال :

(يا رسول الله جئتك مستغفراً من ذنبي مستغيثاً بك إلى ربي فادع الله أن يغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري) لم يكن ذلك شركاً ولا كفراً باتفاق غير المتعصّبين ، وخصوصاً إنْ عَلِمْتَ أنّ الإمام النووي حضّ على مثل هذه الصيغة كما في المجموع (٨/ ٢٧٤) ونقله عن علماء الشافعية ، وأنّ ابن حجر العسقلاني يقول كما في ديوانه بخطّ القلم :

نبيَّ الله يا خيرَ البرايا ... بجاهِكَ أَتّقي فصل القضاء
وأرجو يا كريمُ العفوَ عمَّا ... جنتهُ يداي يا رَبَّ الحِبَاءِ
فكعب الجود لا يُرضى فداء ... لنعلِكَ وهو رأسٌ في السخاءِ
وسنَّ بمدحك ابنُ زهير كعب ... لمثلي منك جائزة الثناء
فقل يا أحمدُ بن عليّ اذهب ... إلى دار النّعيم بلا شقاء
فإن أحزن فمدحك لي سروري ... وإن أقنط فحمدك لي رجائي[٢٣]

وديوان الحافظ مطبوع قديماً في الهند وهناك نسخة منه في مكتبة الجامعة الأردنية فلتنظر وليبحث عن مخطوطه أيضاً بخطه للتأكّد .

---

(٢٣) وعلى أولئك الذين ينتقدون أبيات البردة للإمام البوصيري رحمه الله تعالى أن ينتقدوا بعد اليوم أبيات الحافظ ابن حجر وغيره من الحفاظ الذين يقولون مثل ما يقول البوصيري بل أكثر من ذلك ، ومنه نعلم سقوط كلام ذلك المسكين الذي علّق على كتاب « هل المسلم ملزم باتباع مذهب مُعَيَّن » وشطحه ص (٧١-٧٤) وعدم تذوّقه لعلوم العربية ، وأكله الزنجبيل .

فإن قال قائل في هذين الدليلين هذه الاستغاثة جائزة في حياته فقــط ، قلنا : أنت لا تجيز الاستغاثة بغير الله مطلقاً ، وتصف المسـتغيث بالشـرك في أمر أقلّ ما يقال فيه : إنه أمر مُخْتَلَف فيه ، وتدّعي أن هــذا مـن صلـب العقيدة ، وليس كذلك ، وستأتي إن شاء الله تعالى أدلّة واضحة في إثبـات الاستغاثة بعد الوفاة ، فتأمّل وأَنْصِف .

٣ ـ الدليـل الثـالث للاسـتغاثة : روى الطــبراني (١٠/٢٦٧برقــم١٠٥١٨) و (١٧/١١٨ برقم٢٩٠) وأبو يعلى في مسنده (٩/١٧٧برقم ٥٢٦٩) وابن السنّي في عمل اليوم والليلة (برقم ٥٠٨) عن عبدالله بن مسعود قال رسول اللــه صلـى اللـه عليه وآله وسلّم : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد اللـه احبسوا عليَّ ، يا عبادَ اللــه احبسـوا علـيَّ ، فـإن للـه فـي الأرض حـاضراً سيحبسه عليكم » . وفي رواية أخرى لهذا الحديث :

« إذا أَضَلَّ أحدكم شيئاً ، أو أراد أحدكم غوثاً ، وهو بأرض ليــس بهـا أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإنّ لله عبــاداً لا نراهم » .

رواها الطبراني في الكبير (١٧/١١٨/ ٢٩٠) وقال بعد ذلك : « وقد جُـرَّب ذلك » .

ورواه البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً بلفــظ : « إن للـه ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشــجر ، فـإذا أصابت أحدكم عَرَجة بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله أعينوني » .

وحديث البزار هذا حسّنه الحافظ ابـن حجـر العسـقلاني فـي « أمـالي

الأذكار » كما في « شرح ابن علاّن على الأذكار » (١٥١/٥) .

وقال الحافظ الهيثمي عنه في « المجمع »: (١٣٢/١٠): «رجاله ثقات» .

وزاد الحافظ الهيثمي مؤكّداً على رواية الطبراني مقرّاً قوله : وقد جرّب ذلك .

ولو فرضنا جدلاً أن هذا الحديث الحسن موضوع فكيف يجوِّز علماء الأمّة وأهل الحديث هذا الأمر ويقولون : وقد جُرِّب ذلك ، وسيمرّ بنا إن شاء الله تعالى ذكر من عمل بذلك وحسّنه من الحفاظ .

(تنبيه) : العجب العجاب أن الألباني اعترف بحسن حديث البزار هذا في ضعيفته (١١١/٢) فقال : [وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزاز في زوائده ص (٣٠٣)... **قلت** : **وهذا إسناد حسن** كما قالوا ....] الخ .

قلت : ثمّ قَبْلَ ذلك جوَّز في نفس الصحيفة الاستغاثة بالملائكة وبالجن لهذا الحديث ثمّ جنح إلى اقتصار ذلك على الملائكة ، وهو يعلم أنّ الأنبياء أحياء عند ربهم .... إلى آخر ما تقدّم .

ولُيعْلم أيضاً : أنّ ابن تيميّة ذكر الحديث في « الكَلِم الطَّيّب » لأنّه رأى ذلك من الكَلِمِ الطيب وليس من الكلم الخبيث . وقد علّق الألباني في « صحيح الكلم الطيب » على هذا الحديث بأنّه : ضعيف كما خرّجه في ضعيفته ، مع أنّه يرى حُسْن إسناده في مكان آخر ! واختار أنّ الأصحّ أنّه موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما بغير أدلّة علمية مقبولة ،

وتكهن أن ابن عباس ربما أخذ ذلك من أهل الكتاب ، وإنّي أعجب من الألباني ! هل يجوّز على ابن عباس أن يأخذ الشرك من أهل الكتاب ثمّ يرويه للأمّة ثمّ يتلقّاه علماء الأمّة بالقبول ويعملوا به وعلى رأسهم أحمد بن حنبل أحد أئمّة السنّة من السلف المشهورين عنده ؟!

انظر « صحيح الكلم الطيب » ص (٩٨) حديث (١٧٧) وتأمل في كلام ابن تيمية وتعليق الألباني عليه ثمَّ تأمَّل في صحيفة (١١١) من المجلد الثاني في ضعيفة الألباني لتدرك التناقض في أعرض صوره ؟!

٤ ـ الدليل الرابع للاستغاثة : قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٨/ ٥٧٨ – ٥٧٩) : « أخرج قصّة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن عن الحارث بن حَسَّان البَكْرِي قال : « خرجتُ أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث ــ وفيه ــ فقلت : **أعوذ بالله وبرسوله** أن أكون كوافد عَاد ، قال : وما وافد عاد ؟ وهو أعلم بالحديث ولكنّه يستطعمه ...»[٢٤] .

قلت : وهذه استغاثة صريحة .

٥ ـ الدليل الخامس للاستغاثة : من استغاثات الصحابة به وإقرارهم لمن فعل ذلك بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم : قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٢/ ٤٩٥) : [روى ابن أبي شيبة[٢٥] بإسناد صحيح من رواية

---

(٢٤) حسن . رواه أحمد (٣/ ٤٨٢) .

(٢٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦) ، ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه (٤/ ٨٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

أبي صالح السمّان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال : « أصاب النّاس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقال : يا رسول الله استسق لأمّتك فانَّهم قد هلكوا ...] انتهى .

قلت : ومالك الدار ثقة بالاتفاق عدّله ووثّقه سيدنا عمر وسيدنا عثمان فولياه بيت المال والقسم ، ولا يولِّيان إلا ثقة ضابطاً عدلاً كما نص الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمته ، ونقل ذلك عن إمام المحدّثين علي بن المديني ، وكذا وثّقه جميع الصحابة الذين كانوا في زمن عمر وعثمان رضي الله عن الجميع ، بل نصّ الحافظ أنّ لمالك إدراكاً ، فهو صحابي صغير وهذا مما يؤكّد أنه من الثقات الأثبات ، ثم روى عنه أربعة من الثقات ، ونصّ على أنّه معروف : البخاري في تاريخه وساق هذه القصة ، وابن سعد في طبقاته (١٢/٥) وقد فصَّلت ذلك تفصيلاً في « الباهر » وفي مقدمة تحقيق كتاب السيد عبدالله ابن الصديق الغماري « إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي » ، وبيَّنت أن تضعيف الألباني لمالك الدار وقوله : « غير معروف العدالة » خطأ بل جهل وتدليس بالغ !

فهذا الحديث يثبت بلا شك ولا ريب إجماع من حضر من الصحابة في زمن سيدنا عمر مع سيدنا عمر رضي الله عنهم على جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته ، ونحن مُقْتَدُونَ بالصَّحابَةِ في ذَلِكَ .

٦ ـ الدليل السادس للاستغاثة : حديث الدارمي في سُنَنِهِ (٤٣/١) حيث

قال : حَدثنا أبو النعمان[٢٦] ، ثنا سعيد بن زيـد[٢٧] ، ثنـا عمـرو بـن مـالك النكري[٢٨] ، حدّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله[٢٩] قال : « قَحِطَ أهـل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت : أنظروا قبر النبي صلى الله

---

(٢٦) أبو النعمان هو : عَـارِم : واسـمه محمـد بـن الفضـل السدوسـي : مـن رجـال البخاري ومسلم والأربعة أيضاً . وهو ثقة ثبت . تغير في آخر عمره . وما ظهر له بعد تغَيّره حديث منكر كما نص علـى ذلـك أكـابر الحفـاظ كـالدارقطني وأقـرّه الحـافظ الذهبي في « الميزان » (٨/٤) . فمن حـاول أن يطعـن فيـه بـالاختلاط فقـد حـاول عبثاً ، وسجَّل على نفسه بأنه لا يعرف في هذا العلم كثيراً ولا قليلاً ، وليـس لكلامـه قيمة أصلاً .

(٢٧) سعيد بن زيد هو من رجال مسلم في الصحيح ، وثقه يحيى ابن معيـن ، وقـال البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد أبو الحسـن الصـدوق الحـافظ ، وقال ابن سعد : كان ثقة ، وقال العجلي : بصري ثقة ، وقد طعـن فيـه بعـض النـاس ولـم يضـره ذلـك !! انظـر « تهذيـب التهذيـب » (٢٩/٤) ، وكثـير مـن الثقـات وخصوصاً من رجال الصحيحين تكلَّم بعض الناس فيهم فلم يضرهم شيئاً !!

(٢٨) قال الإمام الذهبي في الكاشف الذي يعطي فيـه خلاصـة مـا قيـل فـي الرجـل (٣٤١/٢ ترجمة رقم ١٧٧٣/٤٢٨٧) : عمرو بن مالك النكري : وثّق . اهـ . وقـال الذهبي في « الميزان » (٢٨٦/٣) عنـه : ثقـة . اهـ وقـد صحّـح الحفـاظ حديثـه . فَتَشَدُّق بعضهم في الطعن في سند حديـث لا يوافـق مشـربهم لنيـل دراهـم معـدودة بالنُّكري ما هو إلاّ أمر منكر لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله ، فخوف بعضهـم مـن أن يشاع عنه أنه يجوّز التوسل ما هو إلاّ من أكبر البراهين علـى خـوف تضييـع الدراهـم التي باع بها دينه ، واشترى بها الدنيا بالآخرة فاللهم هداك !

(٢٩) هو من رجال البخاري ومسلم ، وهو ثقة كما في الكاشف والتقريـب . فالسـند متصل ورجاله رجال الصحيح إلاّ عمرو بن مالك وهو ثقة ، والحمد لله تعالى .

عليه وآله وسلّم فأجعلوا منه كوى[٣٠] إلى السماء حتى لا يبقى بينه وبين السماء سقف . قال ففعلوا فمطرنا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتّت من الشحم فسمّي عام الفَتْق » .

قلت : وهذا صريح أيضاً بإسناد صحيح بأنّ السيدة عائشة رضي الله عنها استغاثت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته وكذا جميع الصحابة الذين كانوا هناك وافقوها وفعلوا ما أرشدتهم إليه .

وكأنَّها أيضاً تقول إذا جعلتم كوى إلى السماء فأنتم تسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الله تعالى أن يمطرنا من السماء ، كما كان النبي أحياناً يخرج بهم عند الاستسقاء إلى الصحراء وأحياناً على منبره صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ ـ الدليل السابع للاستغاثة : فِعْلُ علماء الأمّة من السّلف الصالح ومن بعدهم من المحدّثين دون نكيرِ أحدٍ من المعتبرين حتى جَاء ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب فسمّى غير أتباعه مُشْرِكين ، انظر « كشف الشبهات » له ترى العجب العجاب .

وعلى كل حال فأعلم :

أ. أن ابن عباس روى حديث الاستغاثة الذي عند البزار مَرْفوعاً ، وهو بإسناد حسن وقد اعترف الألباني بحُسنه ثمّ رجَّح وقفه على ابن

---

(٣٠) قال الفيروزأبادي في القاموس : « الكَوَّةُ ويضمُّ والكَوُّ : الخَرق في الحائط ... ج : كوىً وكواءٌ » .

عباس كما في ضعيفته (١١٢/٢) فعلى هذا يكون ابن عباس ممن أجاز الاستغاثة وروى حديثها لمن بعده ولم يعتبرها شركاً. علماً بأنّنا لا نقيم وزناً لما يقوله الألباني أصلاً ورأساً ، وإنّما نجلب مثل هذا له ولأتباعه من بَابِ الإلزام .

ب. وكذلك ورد في أثر السيدة عائشة الذي ذكرناه أن الدَّارمي رواه مع من وافقها من المسلمين سَاعتئذ، ومن ردّ هذا بحجج مَنْطِقِيّة سمجة فليبقها لنفسه فانّها لا وَزنَ لها عندنا ، لأنْه يريد دفع النصوص الصحيحة التي لا تنفيها الآيات المُبَارَكَات .

جـ . استغاثة الإمام أحمد : روى البيهقي في الشعب (١٢٨/٦/ برقم٧٦٩٧) وابن عساكر من طريق عبدالله ابن الإمام أحمد ، وكذا عبدالله بن أحمد في المسائل (٢١٧) بإسناد صحيح اعترف بصحته المتناقض (ضعيفه ٢/ ١١١) قال : [سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً ، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً ، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول : « **يا عباد الله دلّونا على الطريق** » فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق ....] اهـ . وذكر هذه القصة أيضاً ابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيمية في كتاب « الآداب الشرعية » .

د ، هـ : ذِكْرُ ابن مفلح لذلك يدلّ على أن ذلك جائز عنده ليس بشرك كما يدّعي الغلاة اليوم ، فذِكْرُ القصة في كتابه المذكور يبيّن أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً عنده إلاّ إن اعتقد المستغيث أن المستغاث به له قوّة النّفع والضرّ بنفسه دون الله تعالى وأنّه مُتَصَرِّفٌ في الكون دون الله

تعالى ، وانظر كيف ذكر ذلك ابن تيمية في « الكلم الطيب » ولم يعتبره من الكلم الخبيث صحيفة (٩٨) حديث (١٧٧) وكيف علّق على ذلك الألباني فذكر أن الحديث ضعيف ولم يقل إنّه حسن موقوف على ابن عباس ، وما أدري ماذا يسمى هذا ؟!

و . الحافظ الطبراني :

ذكر الطبراني في معجمه الكبير (١١٨/١٧) أنّ حديث : « إذا أَضَلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيسٌ فليقل : يا عباد الله أغيثوني ... » . أنَّ هذا مُجَرَّب ، وهذا منه تقوية للحديث وإن كان سنده ضعيفاً ، ولم ينبّه الإمام الحافظ الطبراني السَّلفي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) على أن هذا شركاً يجب اجتنابه بل حضّ عليه .

ز . الإمام الحافظ النووي رحمه الله تعالى :

ذكر الإمام النووي في « الأذكار » في كتاب أذكار المسافر : باب ما يقول إذا انفلتت دآبته : (ص٣٣١ من طبعة دار الفكر دمشق) ما نصه :

[روينا في كتاب ابن السنّي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال : « إذا انفلتت دآبة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإنّ لله عزّ وجلّ حاضراً سيحبسه » . **قلت** : حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنّه انفلتت له دآبة أظنّها بغلة وكان يعرف هذا الحديث ، فقاله ، فحبسها الله عليهم في الحال . وكنت أنا مرّة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته : فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام] . انتهى كلام

الإمام الحافظ النووي من « الأذكار » .

ولا أدري أيصفوه بالشرك بعد ذلك ؟! ..

وقال الإمام النووي أيضا في « المجموع » (٨/ ٢٧٤) مبيّناً ما يستحبّ أن يقوله من يزور النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا وقف أمام القبر الشريف مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نصه :

[ثم يَرْجِعُ إلى موقفه الأوّل قُبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ويتوسّل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول : ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا ـ يعني سائر الشافعية ـ عن العُتْبِي[٣١] مستحسنين له قال : « كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ النساء : ٦٤ ، وقد جئتك مُسْتَغْفِراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ....] اهـ كلام النووي .

فانظر رحمك الله تعالى وهداك كيف استحسن العلماء هذه الصيغة في نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلب العفو وأن يستغفر الله

---

(٣١) والقصة ثابتة تناقلها العلماء وعلى فرض أنّها مكذوبة فالعبرة باستحسان النووي وسائر الشافعية لهذه الصيغة المذكورة في قصة العتبي ، فهل يستحسنون الشرك ؟! ولا يميّزون بين الشرك والإيمان ويقتصر على معرفته المرتزقة من المتمسلفين !

له، ونحن لا نفعل إلاّ ذلك ولا نستحب إلا هذا ، ولا نزيد على ما ورد في الأحاديث المتقدّمة أو ما جاء عن العلماء الكبار في العلم ولا نعتقد في المخلوقين أنّهم يرزقون بذاتهم أو يحيون ويميتون ، فالله تعالى بيّن لنا في كتابه أن إسناد الفعل لغيره على طريق المجاز ليس شركاً ولكن ماذا نصنع بمن لا يدرك المجاز وينكره أشدّ الإنكار ، قال تعالى في شأن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْـرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَـى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾ آل عمران : ٤٩ .

فلو قال شخص أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمى والأبرص ، لم يكن كافراً ، مع أنّ الله تعالى هو محيي الموتى حقيقة وهو الذي يبرىء الأكمه والأبرص ، وكلّنا يعتقد أن التأثير لله لا لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك إذا استغاث رجل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجياً أن يدعو الله له في تفريج مصيبته أو كربه معتقداً أنّه حي في قبره يبلغه سلام أمّته أينما كانوا وتُعرَض عليه أعمالهم ، لم يكن ذلك شركاً عند من تجرّد من العصبية وأتقى الله تعالى ، بل سيتحقق أن ذلك سنّة وردت فيها الأحاديث الصحيحة ونصّ عليها علماء الأمّة الثقات من السلف والمحدّثين ، فليتّق الله من يأكل الدراهم متظاهراً بالدعوة إلى التوحيد والتشديد والتقييد ، ممن يركض وراء دعاة التوحيد (!!) الذين يقولون بقدم العالم بالنّوع وبتجويز استقرار معبودهم على ظهر بعوضة (!!) هداهم الله تعالى للعقيدة الصحيحة !!

حـ . وكذا شيخ الإمام النووي الذي حكى عنه الإمام النووي القصة

في الأذكار وهو الإمام محمد بن أبي اليسر . انظر « شرح الأذكار لابن علاّن » (٥/ ١٥١) .

ط. وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث ذكر حديث ابن أبي شبية في الفتح (٢/ ٤٩٥) ولم ينبّه أن ذلك شرك كما نبّه عليه المعلّق على الفتح هداه الله تعالى ، وكذلك عند تحسين حديث البزار الذي في الاستغاثة ، وللحافظ أيضاً أبيات في قصائده هي صريح الاستغاثة وإنّي أعرض بعض تلك الأبيات وهي ثابتة عنه ثبوت الشمس في رابعة النهار ، ولمثله من الحفاظ أيضاً أبيات كثيرة كابن دقيق العيد وابن سيد الناس وغيرهم ، فليحارب بعد اليوم المأجورون الحافظ ابن حجر الذي يقول أبياتاً أبلغ من أبيات الإمام البوصيري رحمهما الله تعالى !!

ومهما حاول هؤلاء أن ينفوا ذلك عن الحافظ أو يتهربوا منها أو من الجواب عليها فلن يستطيعوا ، وهذه بعض الأبيات: قال الإمام ابن حجر :

نبيَّ الله يا خير البرايا ... بجاهك أتّقي فصل القضاء
وأرجو يا كريمُ العفو عمّا ... جنته يداي يا رب الحِبَاء
فقل يا أحمد بن علي اذهب ... إلى دار النعيم بلا شقاء

انظر ديوان الحافظ ابن حجر (المطبوع بالهند المكتبة العربية / حيدر أباد الدكن سنة ١٣٨١هـ وهي طبعة مصحّحة) ، وقد نقل الأبيات أيضاً العلاّمة يوسف النبهاني من خط ـ الحافظ ابن حجر كما ذكر ذلك في مجموعة القصائد النبهانية (١/ ١٦٦) .

وهناك أبيات أخرى لا أودّ إطالة هذه الرسالة بها فليراجعها من شاء .

هذا فقد نقلت في هذه العُجالة الاستغاثة عن ابن عباس ومالك الدار والسيدة عائشة وبلال بن الحارث المزني صاحب حديث مالك الدار عند ابن أبي شيبة ، وكذا يدخل بذلك جميع من حضر من الصحابة والتابعين ، وكذا أحمد بن حنبل والطبراني والإمام النووي الذي نقل استحباب ذلك عن الشافعية والحافظ ابن حجر ، وأظُنُ أن في ذلك إقناعاً لكل لبيبٍ لأن يتّقي الله تعالى ويعلم أن هذا الأمر جائز شرعاً .

حجة مَنْ يحرِّم الاستغاثة من السُّنَّة :

استدل من حرّم الاستغاثة بحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن أبا بكر الصدّيق قال : قوموا بنا نَسْتَغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إنّه لا يستغاث بي وإنّما يستغاث بالله تعالى** » وهذا حديث ضعيف ذكره محدّث العصر السيد عبدالله الغماري أعلى الله تعالى درجته في كتابه « الرد المحكم المتين » وقد روى هذا الحديث الطبراني وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف ، ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/ ٤٠) قال : « رواه أحمد وفيه راو لم يسمَّ وابن لهيعة » ، وذكر في « المجمع » (١٠/ ١٥٩) أن ابن لَهيعة حسنُ الحديث ، وليس كذلك فقد ضعَّفه هو وغيره مراراً ، مع أن الحديث يخالف الأحاديث الصحيحة وخصوصاً حديث الصحيحين الصريح في الاستغاثة ، ولو صحّ هذا الحديث كان حجة على أن الاستغاثة ليست كفراً وإنّما تركُها هو الأدب والأفضل لأنّ أبا بكر من أعرف الناس وأفقه الناس بالقرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من

أمّته فيما يوجب الكفر من غيره ، وأيضاً لم يأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أن يتشهد ويدخل في الإسلام من جديد .

هذه هي حجة مانعي الاستغاثة الذين يكفّرُون عباد الله جُزافاً لغير موجب للتكفير ، وهي مهلهلة كما رأيت ، وذلك مبلغهم من العلم ويرددون آيات لا يدركون معناها سنجيب عنها الآن إن شاء الله تعالى سريعاً ، مع أنّنا على استعداد تام لأن نتوسّع في شرحها ونبرهن عليه وننقل أقوال العلماء متى احتاج الأمر لذلك .

من تلك الآيات التي يحتجّون بها : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ البقرة : ١٨٦ . ومن المعلوم بداهةً : أن أشخاصاً كثُر قد سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الدعاء وغيره ودعا لهم وأعطاهم ، ولم يتنافى هذا مع الآية ، لأنّ الآية الكريمة تقرّر أنه ليس شرطاً في الدعاء اتخاذ الوسائط والوسائل وأيضاً ليس فيها ما يمنع ذلك ، فهي تقرّر أن الإنسان له أن يدعو الله تعالى متى شاء دون واسطة سواء كان في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته .

ومن تلك الأيات التي يوردونها ويضعونها في غير محلّها أيضاً : قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ الجن : ١٨ . ومعنى ذلك : أي لا تعبدوا غير الله تعالى ولا تعبدوا معه هذه الأوثان التي قال الله عنها : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً** ﴾ الفرقان : ٣ مع أنّه قال أيضاً : ﴿ **ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ يوسف : ٣٩ فهم لم يكن أحد منهم موحداً لا الرب ولا الإله لأنّ الرب هو الإله والإله هو الرب ، وقد

فصّلت هذا في رسالة « التنديد بمن عدّد التوحيد » .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ فاطر : ١٣- ١٤.

ومعنى الآية مختصراً : والذين تعبدون من دون الله بسجودكم لهم واعتقادكم فيهم الألوهية كمن يعبد منكم الأصنام أو المسيح أو الكواكب أو يعبد أشخاصاً من العظماء في الدنيا من دون الله العظيم حقيقة لا يملكون من قطمير لكم أي لفافة نواة تمر ، كأولئك الفُرْس مثلاً الذين كانوا يعبدون كسرى والذين سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن سبب حلقهم للحاهم فقالوا : أَمَرَنَا بذلك ربنا يعنون كسرى ، ولأنّ هؤلاء الذين عبدوهم من دون الله إذا ادّعوا الربوبية أو لم يدّعوها لا يستطيعون تخليص عبدتهم من النار والعذاب ، وسيتبرّئُون يوم القيامة ممن عبدهم ، وهذا لأنّ النصارى مثلاً اعتقدوا الربوبية والألوهية في المسيح وكذا اليهود في عزير وكذا عبدة الأصنام في أصنامهم ، وأما قولهم : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ الزمر : ٣ فهو كذب منهم بنص القرآن ، لأنّهم لا يقولون ذلك إلا عند محاججة النبي لهم وافحامه إيّاهم فيضطرون لقول مثل هذا ، ولذلك قال الله عَقِبَ هذه الآية : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ ، والذي يؤكد ذلك أنّهم يأبون أن يسجدوا لله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** ﴾ الفرقان : ٦٠ ، وكذلك لا يُقِرُّون بالبعث

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس: ٧٨ ــ ٧٩ ، والمستغيث بالنبي صلى الله عليه وآله وسلّم ليس كذلك من جميع الوجوه فهو يسجد للرحمن ويدعوه ولا ينكر البعث ولم يعبد غير الله تعالى ، وحصر الدعاء بالعبادة غلط ثمّ جهل مُرَكَّب ، لأنّ أحد معانيه : العبادة ، وله معان أخرى ، فتعميم حديث « الدعاء هو العبادة » على كل دعاء من الجهل البالغ إلى الذروة وهو ينبىء أن القائل بذلك ليس له دراسة في علوم اللغة والتفسير وفهم كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حق الفهم[٣٢] ، أو يقصد تضليل الناس عن الحقيقة .

والرسول صلى الله عليه وآله وسلّم دعا أشخاصاً أحياء وكذلك دعا الأموات فقال لهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين » والمستغيث لم يأبَ السجود للرحمن ولم ينكر البعث فقياس أولئك على هؤلاء غلط محض ، وإنزال الآيات الواردة في المشركين على المؤمنين من الضلال البالغ إلى الذروة !!

وأعود فأكرر بأن مسألة الاستغاثة لا علاقة لها بالعقيدة البتة . إلا في

---

(٣٢) وإنما بنى كلامه على التدليس ومن قرأ مثل كتاب « التوصل إلى حقيقة التوسل » ظهر له ذلك جلياً ، فإنَّ تجريحه للرجال في النصوص التي تخالف هواه بذكر الجرح وإغفال التعديل تحكم بالهوى وتقليد للسهسواني المدلس القاصر في هذا العلم ، ومن تدبّر ذلك سيقتنع بما أقول ولن يخالفني في حرف مما أقوله ، فتبّا ثمّ تبّا لمن قَدّم الباطل لأجل المال على الحق الأبلج ، وتبّا لمن نقل عن مثل هذه الكتب المزوّرة وهو لا يعي ما ينقله ، وعند الله تجتمع الخصوم .

نظر البسطاء الذين لم يمعنوا النظر في الكتاب والسنة .

فجميع الآيات التي فيها اعتراف من الكفار بالله كقولهم : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ الزمر : ٣ ، و ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ لقمان:٢٥ ، والزمر:٣٨ ، ليس فيها أنهم كانوا يقرّون بتوحيدٍ ، لأنّ الله تعالى أخبر عن حقيقتهم فقال بعد إحدى تلك الأيات كما في سورة الزمر : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر : ٣ .

وكذلك حديث « إذا سألت فاسأل الله »[٣٣] وعليه كلام لبعض الحفاظ . قال النووي في شرحه في « الأربعين »[٣٤] ص (٥١) :

[قوله : « وإذا سألت فاسأل الله » : إشارة إلى أنّ العبد لا ينبغي له أن يُعلِّق سِرَّهُ بغير الله تعالى بل يتوكّل عليه في سائر أموره ، ثمّ إنْ كانت الحاجة التي يسألها لم تَجْرِ العادة بجريانها على أيدي خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم في القرآن والسنّة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك وإن كانت الحاجة التي يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه كالحاجات المتعلّقة

---

(٣٣) **ضعيف** . رواه أحمد (١/ ٣٠٣) ، والترمذي (٢٥١٦) وصححه ، قال العُقَيلي في كتابه « الضعفاء » (٣/ ٥٣) : [وقد روي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق أسانيدها لينة وبعضها أصلح من بعض] . وكان هذا الكلام ـ إن صح ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجيهاً منه وتعليماً منه لطفل ليتوجَّه إلى الله تعالى في أموره لا لمنعه من أن يسأل أحداً شيئاً أو من أن يستعين بغيره على قضاء حوائجه .

(٣٤) « شرح الأربعين طبعة الشمولي القاهرة الطبعة السادسة » .

بأصحاب الحِرَف والصنائع وولاة الأمور سأل الله تعالى أن يُعَطِّفَ عليه قلوبهم فيقول : اللهم حَنِّنْ علينا قلوب عبادك وإمائك ، وما أشبه ذلك ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق لأنّه صلى الله عليه وآله وسلّم سمع عَلِياً يقول : اللهم أغننا عن خلقك فقال لا تقل هكذا فإنّ الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ، ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك[٣٥] . وأمّا سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم] . انتهى كلام الإمام النووي .

فتبيّن من ذلك : أنّ سؤال غير الله تعالى ليس شركاً ولا منهياً عنه إلاّ إن اعتقدنا أن للمسؤول صفة الألوهية ، والمسلم مراقب لله تعالى في جميع أحواله ، ولا يمتنع عليه أن يسأل غير الله تعالى ، والحديث يدلّ على مراقبة الله تعالى . والنبي صلى الله عليه وآله وسلّم سأل غير الله تعالى أشياء كثيرة ، فقد سأل سيدنا عمر رضي الله عنه أن يدعو له عندما استأذنه في الذهاب للعمرة كما رواه أبو داود (٢/ ٨٠ برقم ١٤٩٨) والترمذي (٥/ ٥٦٠ برقم ٣٥٦٢) **بسند صحيح** .

وأقرّ الصحابة أن يسألوا غير الله تعالى أشياء ، وروى أبو داود (١٦٧٢) في كتاب الزكاة ، باب عطية من يسأل بالله ـ أي سأل الناس قائلاً بالله عليكم أعطوني ـ ، والنسائي (٢٥٦٧) مرفوعاً : « **مَنْ سألكم** بوجه الله تعالى فأعطوه » ولم يقل كَفِّروه ، لحديث : « وإذا سألت فاسأل الله » **!!**

ولا أريد الإطالة بعد هذا البيان بنقل مئات النصوص من مثل هذه الشواهد التي تنسف استدلالات من لم يعرف الاستدلال ، ومنه يتبيّن أن

---

(٣٥) رواه أبو نُعَيم في طبقات المحدّثين بأصبهان برقم (٩٨١) .

منطق هؤلاء الذين يحرّمون الاستغاثة منطق سخيف سطحي جـداً ، ينبـىء عن قلة معرفتهم وضعفهم فـي علـوم الشـريعة المختلفـة ، حيـث ضَعُـفَ فهمهم عن دقائق المسائل الشرعية ، أو أن المال المميل فعل بهم ما فعــل فجعلهم .... وقد تجتمع هذه الأسباب أيضاً ، فنسأل اللــه تعـالى الهدايـة دوماً للصواب .

خاتـــــمة

إننا لم نَرَ من حرّم الاستغاثة من السلف الصالح رضي الله عنهم وإنّما ظهر هذا في القرن الثامن فما بعد ، وقد نقلنا في هذه العجالة نصوصاً عن بعض السلف تجويز الاستغاثة والحض عليها ، ونقل الحافظ الذهبـي فـي « سير أعلام النبلاء » نصوصاً في ذلك أيضاً عن السلف ، فمثـلاً نقـل فـي « السير » (٣٤٣/٩) : [قال إبراهيم الحربي ـ وهو من هـو ـ : قـبر معـروف الترياق المجرّب[٣٦] . يريد إجابة دعاء المضطر عنـده لأنّ البقـاع المباركـة يستجاب عندها الدعاء] اهـ كلام الذهبي .

وفي « السير » أيضاً (١٠٧/١٠) فـي ترجمـة السـيدة نفيسـة : [والدعـاء مستجاب عند قبرها ، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين ....] الخ .

ونحن ننصح المتمسلفة أن يذهبوا إلى قبر سيدنا جعفر الطيـار رضـي اللـه عنه أو إلى قبر أبي عبيـدة ويدعـوا اللـه تعـالى متوسـلين أو مسـتغيثين بـه

---

(٣٦) وقد قام بعض المتمسلفين المساكين بتضعيف هذا القول ! فزعم بأنـه ضعيـف الإسناد ، ولم يذكر ذلك المتمسلف أن الخطيب ذكر عقبـه فـي تاريخـه (١٢٢/١) مـا معناه عن رجل آخر بإسناد آخر فقال : [أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قال : نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري ، قال سمعت أبـي يقول : **قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج**] . الـبرمكي وثَّقـه الذهبـي فـي العبر (٣/ ٢١٠) نقلاً عن الخطيب البغدادي ، وعبيد الله الزهري وثقه الخطيـب فـي تاريخه (١٠/ ٣٦٨) ، وأبوه وثقه الخطيب أيضاً في تاريخه (١٠/ ٢٨٩) . وكل هؤلاء أئمة ثقات . والذهبي أقرَّ ما قاله إبراهيم الحربي ولم يَعُدُّهُ شركاً وكفراً !

ليدلهم الله على الحق ويلهمهم الصواب وليخلصهم من الميل إلى الدراهم التي يَقْلِبون بها الحق باطلاً والباطل حقاً .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران : ٨ . اللهم أسألك حُسْنَ الختام

قال مؤلّفها حسن بن علي السقاف فرغت منها في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة وألف من هجرة سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله تعالى

تنبيـــه وإلحـــاق

طعن الألباني المتناقض بحديث : « **ما من أحدٍ يَمُـرُّ بقبر رَجُلٍ كان يعرفه في الدنيا فَيُسَلِّمُ عليه إلا عَرَفَهُ وَرَدّ عليه السلام** » . فضعّفه في تعليقه على كتاب « الآيات البينات »[٣٧] ص (٧٠) وذكر أنّه بيّن ذلك في ضعيفته (٤٤٩٣) والحقيقة أنّه حرّف في النقل على عادته فضعّف الحديث بحجج أوهى من بيت العنكبوت ، وقلّد نعمان ابن الآلوسي في تضعيفه ، علماً بأنّ نعمان الآلوسي لا يُرْجَع إليه في هذا الفن فأقرّه على نقلٍ غير صحيح عن ابن رجب فأتمّ ما أراده ولنبيّن ذلك فنقول : قال ابن رجب الحافظ في كتابه « أهوال القبور »[٣٨] ص (٨٢) ما نصه : [وروى الربيع بن سليمان المؤذن ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من أحد يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلّم عليه إلاّ عرفه وردّ عليه السلام » أخرجه ابن عبد البر ، وقال الحافظ عبد الحق الإشبيلي : إسناده صحيح يشير إلى أن رواته كلهم ثقات ، وهو كذلك ، إلاّ أنّه غريب بل منكر] . اهـ كلام ابن رجب من الأهوال .

تعليقاتنا على كلام ابن رجب هذا وما نستفيده منه :

١ ـ قوله (وروى الربيع بن سليمان) يشير إلى أنّه ثبت عن الربيع من

---

(٣٧) الطبعة الرابعة (١٤٠٥ هـ) .

(٣٨) طبع دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥ حديث رقم (٢٧٨) .

طرق وهو كذلك ، فقد رواه عنه الخطيب في تاريخه (٦/ ١٣٧) بإسنادين رجالهما ثقات ، وكذا ابن الجوزي في « العلل المتناهية »[٣٩] (٢/ ٩١١) ، وكذا رواه الحافظ ابن عبدالبر في « الاستذكار » (١/ ٢٣٤) كما سيأتي إن شاء الله تعالى . فالحديث ثابت عن الربيع بلا ريب .

٢ ـ رجاله الذين ذكرهم ابن رجب رجال الصحيح إلاّ الربيع بن سليمان وهو ثقة متفق عليه ، انظر « تهذيب التهذيب » (٣/ ٢١٣) .

٣ ـ الحديث صحّح إسناده ومتنه جماعة من الحفاظ منهم : الإمام الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » و « الاستذكار » ، وذكر ذلك ابن القيم في كتاب « الروح » لكن محقق كتاب الروح الواقع في أسر تقليد الألباني المتناقض ردّ على ابن القيم ، كما في طبعة دار الفكر ص (١١) حيث قال : معلّقاً على الحديث : [قال الحافظ ابن رجب ضعيف بل منكر ووافقه شيخنا الألباني كما في الآيات البينات ص(٢٨)] اهـ .

ونجيبه فنقول : إن ابن رجب لم يقل في الأهوال « ضعيف بل منكر»، بل قال : [صحيح الإسناد إلاّ أنه غريب بل منكر] اهـ .

ومراد ابن رجب الحنبلي بالغريب وبالمنكر أنّه ليس له إلاّ إسناد واحد ، لكن ابن رجب لم يُصِبْ في ذلك بل له أكثر من إسناد .

قال المحدّث اللكنوي في « الرفع والتكميل »[٤٠] ص (٢٠٠) ما نصه :

---

(٣٩) طبعة خليل الميس حديث (١٥٢٣) .

(٤٠) من الطبعة الثالثة بتحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبو غُدّة .

[ولا تظنَّنّ من قولهم : هذا الحديث منكر أنّ راويه غير ثقة ، فكثيراً ما يطلقون النكارة على مجرّد التَفَرُّد] اهـ .

وقال الحافظ السيوطي في رسالته « بلوغ المأمول في خدمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم » وهي في كتابه « الحاوي للفتاوي » (١١٣/٢) :

[وَصَفَ ـ الحافظ ـ الذهبي في الميزان عدّة أحاديث في « مسند أحمد » و « سنن أبي داود » وغيرهما من الكتب المعتمدة بأنّها منكرة ، بل وفي « الصحيحين » أيضاً ، وما ذاك إلاّ لمعنى يعرفه الحفّاظ ، وهو أنّ النكارة ترجع إلى الفردية ، ولا يلزمُ من الفردية ضعف متن الحديث ، فضلاً عن بُطلانه » اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة « فتح الباري » ص (٤٣٧) : عند ذكر « محمد بن إبراهيم التيمي » وتوثيقه مع قول أحمد فيه : يروي أحاديث مناكير : **[قلت** : المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع له فيحمل هذا على ذلك ، وقد احتجّ به الجماعة] .

وقال الحافظ ابن حجر أيضا عند ذكر ترجمة « بريد بن عبدالله » ص (٣٩٢) : [أحمد وغيره يطلقون المناكير على الأفراد المطلقة] اهـ .

أما محقق كتاب الروح « طبع دار الفكر » فليس ثَمَّ هناك .

فالحديث صحّحه الحافظ ابن رجب ، وكذلك أيضاً الحافظ « المتخصص في علل الحديث » عبدالحق الإشبيلي في كتابه « العاقبة » كما نقله ابن رجب في « الأهوال » والزبيدي في « الإتحاف » (٣٦٥/١٠) .

وكذلك صحّحه الإمام الحافظ السيوطي في « الحاوي للفتاوي » (٣٠٢/٢) بإقراره لعبد الحق . وكذلك صحّحه الحافظ العراقي كما في الاحياء (٤٩١/٤) وكذلك الزبيدي في « شرح الإحياء » (٣٦٥/١٠) .

وأفاد الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » أنّ ابن عبد البر روى الحديث في « التمهيد » و « الإستذكار » بإسناد صحيح ، وقال المتّقي : « سنده جيد » .

٤ ـ ابن رجب نقل في « الأهوال » تصحيح الحافظ عبدالحق وأقرّه عليه ، بقوله : وهو كذلك ، والظاهر أنّه لم يطّلع إلا على هذه الطريق فحكم عليه بأنّه غريب منكر ! وليس كذلك ! وعلى كل حال لا تضرّ الغرابة ، فحديث « إنّما الأعمال بالنيّات » غريب وهو في الصحيحين .

٥ ـ وعلى فرض أنّ ابن رجب عنى بقوله « منكر » ما تخيَّله الألباني وأرد أن يثبته فلسنا ملزمين به قطعاً ، وإنّني أتساءل متعجباً ما هو سرّ تعويل الألباني على كلام ابن رجب دون باقي الحفاظ ؟! وإنّني أخشى أنْ السبب فقط هو مخالفة الحديث لمشرب الألباني ! علماً بأنه لا يُعَوِّل على كلام الحفّاظ أصلاً وإنّما يسعى للاستقلال برأيه ويدّعي كما في مقدمته الجديدة لآداب زفافه ص (٣٠) أنّه لا يُقَلِّد أحداً يعني من الحفاظ وأهل الحديث . فلينظر .

٦ ـ ويقال له أيضاً لِمَ حرّفت كلام ابن رجب : « إسناده صحيح ... وهو كذلك إلاّ أنه غريب بل منكر » الى « ضعيف بل منكر » ووافقت الآلوسي على تحريفه أيضاً فأين الأمانة العلمية ؟! وأين الإنصاف ؟! ولا

ندري هل سيزيد المذكور في ضعيفته استدراكاً جديداً يَرُدّ ما زيفناه وأبطلناه ، أم سيرجع إلى ما قاله الحفاظ فيصحح الحديث ؟!

سرد أسانيد الحديث التي وقفنا عليها :

١ ـ روينا بإسنادنا المتصل إلى « تاريخ » الخطيب البغدادي الحافظ (١٣٧/٦) في ترجمة إبراهيم بن عمران الكَرْمَاني ، قال الخطيب :

[أخبرنا أبو الخطاب عبد الصمد بن محمد وعلي بن المحسن التنوخي ، قالا : أنبأنا عمر بن محمد الناقد ، حدثنا إبراهيم الكرماني ، قال: حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، (ح) وأخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن السراج بنيسابور ، قال : حدثنا أبو العباس الأصم ، ثنا الربيع ، ثنا بشر بن بكير ، ثنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم . وفي حديث الكرماني: عن عبدالرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من عبد يمرّ بقبر رَجُلٍ كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلاّ عرفه وردّ عليه السلام »[٤١]] .

٢ ــ وروينا بأسانيد متصلات إلى ابن الجوزي في « العلل المتناهية »[٤٢] قال : أخبرنا أبو منصور القزاز ، أخبرنا الخطيب البغدادي به ، كما تقدم عن الخطيب في « التاريخ » .

٣ ـ وروينا بالسند المتصل إلى الحافظ ابن عبد البر في « الاستذكار »

---

(٤١) ورواه تمام في فوائده (١/ ٦٣/ ١٣٩) وغيره .

(٤٢) انظر « العلل المتناهية » بتقديم الميس (٢/ ٩١١) حديث (١٥٢٣) .

(١/ ٢٣٤) قال : [حدّثنا أبو عبدالله عبيد بن محمد رحمه اللــه تعـالى قـراءة منّي عليه ، قال : أَمْلَتْ علينا فاطمة بنت ريـان المخزومـي المسـلمي فـي دارها بمصر في شـوال سـنة اثنتيـن وأربعـون وثلاثمائـة ، قـالت : حدّثنـا الربيع بن سـليمان المـؤذن صـاحب الشـافعي ، ثنـا بشـر بـن بكـر ، عـن الأوزاعي ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس ، قـال : رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : « مـا مـن أحــد يمــرّ بقــبر أخيــه المؤمن ... »] الحديث .

وهذا إسناد نظيف صحيح كما ترى وتصحيح ابــن عبدالحـق الحـافظ للحديث في أحكامه (ص٢٧٢/ ١/ق) توثيق صريح لشيخ ابن عبدالبر عبيد بــن محمد الذي قال عنـه صـاحب « جـذوة المقتبـس » فيـه (ص٢٢٧) : « كـان رجلاً صالحاً يضرب به المثل في الزهد » اهـ .

ونصٌ أيضاً في توثيق فاطمة بنت الريـان المصريـة التـي لا يسـأل عـن حال مثلها . وأمّا قول المعلّق على « العلل المتناهية » على هذا الحديث : إن عبيد بن عمير مجهول والظاهر أنّه مولى ابن عباس كما في « التقريب » و « الميزان » فجهل وخطأ منه ، بل عبيد بن عمير هذا من رجال السـتة ، وهو ثقة كمـا فـي « تهذيـب التهذيـب » (٧/ ٦٥ دار الفكر) فتـأمّل وراجـع إن شئت .

وهذا السند الصحيح يقوِّي ويشدّ سند عبدالرحمن بن زيــد بـن أسـلم فيجعله حسناً بلا شك وبدل أن يبيّن الألباني هذه المتابعة ، ويورد شـواهد له من الأحاديث الصحيحة ـ أعني سند عبدالرحمن بن زيد ـــ الضعيـف ،

زاد في نغمة طنبوره في تعليقه على « الآيات البينات » ص (٧٠) فأورد حديثاً رواه عبدالرزاق بسند تالف ليوهم أنه ليس للحديث شاهد أو متابع سواه ، وهذا من جملة تلاعبه المعروف ! فليستيقظ المخدوعون وليتنبه الغافلون .

وعبدالرحمن بن زيد الذي في أحد أسانيد الحديث ضعيف ، له أحاديث حسان إذا تابعه ثقة لا شك أن حديثه يكون صحيحاً. وقد قال عنه ابنُ عَدِيٍّ في « الكامل » (٤/ ٢٦٩ دار الفكر) : « له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

كتبت هذا الإلحاق لرسالتي « الإغاثة بأدلة الاستغاثة » وفرغت من تبييضه ليلة الجمعة ٢٣/ محرم/ ١٤١٠هـ ، والحمد لله تعالى

الفهرس